لانه تعالى عالم بما يكون منه من الامور التي يزداد بها العمر وينتقص فقضى اجل كل شخص على حسب علمه بما لا يكون منه
قال الامام ابو المنصور الماتريدي تعلقت المعتزلة بظاهر قوله كي ويؤخركم الى اجل مسمى وقالوا ان لكل انسان
اجلين في حال انه لو كان فعل كذا او اجل في حال انه لو كان فعل كذا ولكن قائل فاسد لان جعل الاجلين انما يكون لجهل
في العواقب والله تعالى عالم بما كان وما يكون فلا يحتمل ان يجعل له اجلين وانما جعل اجله بالذي علم انه يكون
منه في الوقت الذي جعل والله اعلم قوله لا فضل لكم علينا يعني ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية
ولوازمها فيمتنع ان يكون الواحد منهم متميزا عن الباقين بان يكون رسولا من عند الله مطلعا على الغيب مخالطا
لزمرة الملائكة ويكون الباقون غافلين عن كل هذه الاحوال وايضا كانوا يقولون ان كنت نبيا فارقتنا في هذه
الاحوال الخالية وجب ايضا ان تفارقنا في الاحوال الخسيسة وهي الحاجة الى الاكل والشرب والحدث والوقاع
وهذه الشبهة هي المراد بقولهم ان انتم الا بشر مثلنا او رد الكفار على الانبياء شبها ثلثة او لها هذه الشبهة
وثانيها قولهم تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا الاقدمين جما غفيرا عقلاء اختروا عبادة الاوثان
دينا ولم يروا فيه فسادا وانت رجل تخالفهم وتدعي بطلان مذهبهم وهو بعيد وثالثها قولهم فاتونا
بسلطان مبين يعنون ان ما جئتم به من الامر المعتاد ليس من قبيل المعجزات التي تثبت بها النبوة فاتوا بما هو خارق
عن الابعاد عن جرابهم عن هذه الشبهة انهم سلموا ان الامر كذلك فيهم يعني ان التماثل في البشرية
لا يمنع بعض البشر بمنصب النبوة بناء على ان هذا المنصب من الله تعالى يمن على من يشاء من عباده فان
اهل السنة والجماعة تمسكوا بهذه الاية فيما ذهبوا اليه من ان النبوة عطية من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده
ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الانسان عن سائر الناس الا بمزيد اشراق نفسه وقوة قدسية فانه تعالى بين
في هذه الاية ان حصول النعمة النبوية ليس الا بمحض المنة من الله والعطية واما انهم ذهبوا الى ان لا مؤثر
في الوجود الا هو والله تعالى يرجح بعض الجائزات على بعض بمشيئته وقال جماعة من حكماء الاسلام الانسان ما لم يكن في نفسه
وبدنه مخصوصا بخواص شريفة قدسية فانه يمتنع عقلا حصول النبوة له واجابوا عن قول الانبياء بانهم ذكروا
فضايلهم النفسانية والبدنية وامتيازهم بها عن سائر الناس تواضعا بل اقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على
من يشاء من عباده بالنبوة لعلمهم باتصافهم بالفضائل التي لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال الله تعالى الله
اعلم حيث يجعل رسالته واجابوا عن قولهم فاتونا بسلطان مبين بقولهم وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
باذن الله ثم ان الانبياء لما اجابوا عن شبهات الكفرة بتلك الاجوبة فالظاهر ان الكفرة اخذوا في السفاهة
وتخويف الانبياء ووعيدهم فان ذلك قالت الانبياء لا نخاف من تخويفكم ولا نعتقد في الحسد بل نتوكل على الله
ونعتمد على فضله وننقطع رجاءنا عما سواه تعالى الا انهم عمموا الامر بالتوكل حيث قالوا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون للاشعار بان موجب التوكل عام لهم ولغيرهم وقصدوا بلفظ المتوكلين انفسهم قصدا اوليا بدليل قولهم وما لنا الا نتوكل
على الله وقد هدانا علمنا ان الامر كله بيد الله فلما فاز بشرف الهداية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفات الربانية

من اختصاصه

الربانية يصح له ان يرجع في امر من الامور الى غير الحق سواء كان فلكا او ملكا او روحا او جسما ثم انه تعالى حكى
عن الانبياء ثم انهم اكتفوا في دفع شرور اعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه حكى عن الكفار انهم بالغوا
في السفاهة واقسموا على انهم ليخرجن الانبياء واتباعهم من ارضهم او ليعودن في ملتهم وانما قدروا على هذه
هذه المقالة القبيحة بناء على ان اهل الباطل في كل زمان كثير بالنسبة الى اهل الحق وانهم يتعاضدون
في تشيبة اباطيلهم فلهذا السبب قدروا على هذه السفاهة والمادرة ان فيها قولهم او لتعودن في ملتهم
ان العود وثانيها بان الخطاب وان كان مع الرسل ظاهرا الا ان المقصود هذا الخطاب كل رسول مع اتباعه
واصحابه فغلب اتباع الرسل على انفسهم في حكم العود فقيل او لتعودن اذا الظاهر ان الاتباع كانوا قبل
ذلك على دين اولئك الكفار ومع هذا ان من قال او لتعودن هم الكفار ولا يجب ان يكونوا صادقين في كل
ما قالوه فلعلهم توهموا كون الانبياء على ملتهم اولا فبناء على انهم نشاوا في بلاد الكفرة وما اظهروا
مخالفة ملتهم اولا ذكر الكفار هذه السفاهة قال الله تعالى فاوحى اليهم ربهم بناء التعقيب الدالة
على ان هذا الوحي لم يتاخر عن سفاهتهم قوله مقامي يعني ان المقام يحتمل ان يكون اسم مكان الوقوف والمعنى
ذلك لمن خاف مكان الوقوف بين يدي يوم الحساب ونظيره ولمن خاف مقام ربه اي موقفه
يقيم فيه الكلفين ويحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى فاعله ويحتمل ان يكون مقحما والمعنى لمن خافني كما يقال
على مجلسكم العالي والمراد سلام عليكم وهو بعيد لان اقحام الاسم قليل نادر وفي اقحام لفظ المقام قول الشاعر
وماء قد وردت لوصل اروى عليه الطير كالورق اللجين ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل
اللعين اي نفيت عنه الذئب فان مكان الشيء يقوم مقامه نفسه كثيرا اي فيما مثل في ارمل النوع
اي القطا وهو شيء ينصب وسط البستان يستطرد به الوحش قوله سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء
والفتاح الحاكم يعني ان الاستفتاح طلب الفتح والفتح قد يراد به النصرة على العدو وقد يراد به الحكم والقضاء
كما في قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وكما في قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق كما في قوله تعالى قال
رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا وكلا المعنيين صحيح ههنا والمعنى على الاول انهم الرسل
استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يئسوا من قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم وقال لوط انصرني على القوم المفسدين وعلى الثاني ان الامم طلبوا الحكم
والقضاء من الله بان قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وكما
قالوا اخرون ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل ان الرسل سالوا الله ان كنت من الصادقين وقيل ان الكفار
سالوا الله الحكم بنصرهم واهلاك اعدائهم فضمير استفتحوا على الاول ان يرجع الى الرسل الكرام او الى الكفار اللئام
وقيل يرجع الى الفريقين لان كلا منهما طلب النصر على صاحبه والحكم باهلاك عدوه واختار المص كونه راجعا
الى الرسل حيث قطع بكونه واستفتحوا معطوفا على فاوحى كانه قيل قال الذين كفروا فاذن الرسل بالاستنصار فسالوا

ان الانبياء كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يصح ان يقال يتعودن في ملتهم اجاب عنه اولا بان العود هنا بمعنى الصيرورة واستعماله بمعنى صار كثير في الكلام

Copyright © King Saud University